# الخاتمة

إلى هنا ونأتي بحمد الله وتوفيقه إلى نهاية هذا البحث الذي حاولت فيه أن ألقي الضوء على بعض الجوانب الهامة في حياة هذا العالم المؤرخ وجهوده في مجال البحث التاريخي وأثره فيمن جاء بعده من المؤرخين. وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى بعض النتائج التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

**أولاً**: إن العصر الذي عاش فيه ابن زبالة وهو القرن الثاني الهجري، كان حافلاً بالأحداث السياسية وشهد اهتماماً بالجوانب الاقتصادية والعمرانية، وكانت بيئته المدينة المنورة في تلك الفترة تمر باضطرابات وفتن وثورات، إلا أن أكثر ما يميز هذه الفترة وهذه البيئة هو الاهتمام الكبير بالعلم والعلماء وظهور علوم كثيرة مثل: علم الرجال وتدوين سيرة الرسول ﷺ وتدوين حديثه، وكتابة التاريخ الإسلامي فكان من نتيجة هذا الازدهار العلمي والثقافي أن لمع في هذه الفترة الكثير من العلماء الأفذاذ في مختلف المجالات العلمية، لذا ساعد ذلك ابن زبالة بأن يلتقي بعلماء هذا القرن من أهل المدينة والعلماء الوافدين إليها طلباً للعلم والثواب، مما هيأ له أن يغرف من مناهل علمهم الذي جعل منه عالماً ومؤرخاً ونسابةً كان عمدة لمن جاء بعده.

**ثانياً**: من واقع العرض لموضوع التأريخ للمدينة يتضح لنا أن ابن زبالة هو أول من صنف كتاباً شاملاً في تاريخ المدينة المنورة والمسجد النبوي الشريف ويعد رائداً وعمدةً في ذلك، وأن كل من سبق ابن زبالة في التأريخ للمدينة إنما كانت رواياته شفهية ولم تجمع في مصنف واحد.

**ثالثاً**: إن كثرة عدد المشايخ والعلماء الذين أخذ عنهم ابن زبالة وروى لهم يدل على سعة علمه واطلاعه ورغبته في الحصول على أكبر قدر من المعرفة، ولا شك أن دراسة ابن زبالة الأولى التي تلقاها على أيدي شيوخه في مطلع حياته العلمية تمثل رافداً من جملة الروافد التي استقى منها مادته العلمية.

**رابعاً**: بالرغم من شهرة كتاب ابن زبالة في تاريخ المدينة، والذي كان يعتبر المعول الذي اعتمد عليه كثير من مؤرخي المدينة المتأخرين والذين حفظوا لنا نصوصاً كثيرة منه، إلا أنه لم يحظ باهتمام علماء عصره ممن تصدوا لترجمة علماء ذلك العصر، ولعل ذلك يعود إلى ضعفه في الحديث. وإن كان ابن زبالة ممن لم يجد من يُعنى بجوانب حياته وحفظ آثاره كما عني بغيره إلا أنه كان ذا باع طويل في حفظ الأخبار ووصف الأماكن والديار، مما جعل كثيراً من العلماء يعتمدون عليه في مؤلفاتهم وينقلون عنه كثيراً من المعلومات عن أخبار المدينة وخططها، مما يدل على أهميتها ونفاستها.

**خامساً**: اتضح لنا في هذه الدراسة ومن خلال أقوال أهل الجرح والتعديل في ابن زبالة أنه ضعيف ضعفاً شديداً في الحديث، ولكن رغم تشدد المحدثين والنقاد في قبول الأحاديث واشتراطهم العدالة في سائر رجال الإسناد، لكنهم في الأخبار التاريخية المتعلقة بسيرة الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين أظهروا تساهلاً ومرونة في الاطلاع على هذه الأخبار والاهتمام بها ونقلها في مصنفاتهم رغم حكمهم على مصنفيها بالضعف الشديد، إذ لا شك أن إهمال كل المعلومات التي ذكرها ابن زبالة تعد خسارة كبيرة وذلك لغزارتها وقيمتها التاريخية الكبيرة.

**سادساً**: ظهر لنا من خلال موضوع أول من سكن المدينة أن العمالقة العرب هم أول من سكن المدينة وأنهم نزلوا المدينة قبل اليهود.

**سابعاً**: اتضح لنا من دراستنا لمصادر ابن زبالة أنه اعتمد في معلوماته على مصادر متنوعة منها ما أخذه عن طريق التجربة والمشاهدة الشخصية، ومنها ما أخذه من ذوي الصلة المباشرة بالأحداث وشهود العيان للوقائع.

**ثامناً**: إثبات أن هذين المصدرين من مصادر ابن زبالة أنهما مصادر حية أضفت على كتاباته التاريخية قيمة علمية كبيرة، وأن مبدأ المشاهدة والمعاينة المباشرة للأحداث والوقائع كان مما تميز به ابن زبالة عن غيره.

**تاسعاً**: إن طريقة إسناد الروايات إلى أصحابها التي أثبتنا استخدام ابن زبالة إياها في أغلب الأحيان تدل على حرصه الدائب على ذكر مصادره، وأنه لا يغفل ذكر السند في غالب نصوصه.

**عاشراً**: اتضح لنا في هذه الدراسة أن كثيراً ما نجد في النصوص المنقولة عن ابن زبالة ما يتطابق مع بعض الأحاديث الواردة في كتب الصحاح، وأهل الثقة، و لم ينفرد ابن زبالة في روايتها.

**حادي عشر**: اتضح لنا في هذه الدراسة جمع ابن زبالة بين الدراسات الاقتصادية والدراسات التاريخية والدراسات الأدبية والدراسات الجغرافية في مصنف واحد وأسبقيته في هذا الميدان.

**ثاني عشر**: استخدم ابن زبالة في تنظيم مادته العلمية طريقة التأريخ حسب الموضوعات في معظم تاريخه.

**ثالث عشر**: اهتم ابن زبالة في عرضه لتاريخ المدينة بالجانب العمراني والتوزيع السكاني على حساب الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

**رابع عشر**: في معالجة ابن زبالة لموضوع أول من سكن المدينة وضح شدة اهتمامه بسكان المدينة من عماليق ويهود وعرب، وذكر آطامهم ودورهم وأماكنها.

**خامس عشر**: تأكد من دراسة ابن زبالة لعمارة المسجد النبوي الشريف أنه قدم وصفاً مسهباً عنه، ظهر من خلال اهتمامه بكل ما يتعلق بالمسجد النبوي من أمور، وذكر تفصيلات هامة عن أدق الأمور فيه.

**سادس عشر**: من خلال ما جمع من نصوص لابن زبالة عن مساجد المدينة وغيرها من المساجد تبين أنه كان مهتماً بجميع المساجد التي صلى فيها النبي ﷺ وعرف مكانها، والمساجد التي لم يعرف مكانها، ومصلاه في الأعياد، وغير ذلك من مساجد المدينة وما حولها، وإيضاح أماكنها وبيان فضلها وما ورد عنها من أحاديث.

**سابع عشر**: من خلال استقرائنا لنصوص ابن زبالة لاحظنا أن هناك بعض السمات الأساسية التي تميز منهجه وأسلوبه في الكتابة، وأهم تلك السمات الوضوح والإيجاز وحسن العرض وعدم التكلف، فالبلاغة عنده إيضاح بإيجاز.

**ثامن عشر**: يتضح لنا من واقع دراسة منهج ابن زبالة أنه كانت تتمثل فيه كثير من الصفات الضرورية للمؤرخ، وأنه يفتقر إلى بعضها مثل: أنه لم يسمِّ لنا أي كتاب يمكن أن يكون قد أخذ منه، وأنه وقف موقفاً سلبياً من بعض الروايات التي تحتاج إلى نقدٍ وتحليل، كما أنه نادراً ما يعطينا تاريخاً للأحداث التي تناولها كتابه.

**تاسع عشر**: بيان أثره فيمن جاء بعده من المؤرخين الذين كتبوا في التأريخ للمدينة ومدى تأثرهم بنصوص ابن زبالة ومنهجه في التأريخ لطيبة الطيبة.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.